Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العسكرى هذا المثال بكونه (سجعا فى سجع) مضيفاً أنه أفضل الوجوه.[1]

وقد حرص ضياء الدين بن الأثير على تحديد الشرط اللازم لتحقُق الترصيع، فألح على ضرورة بث الاتفاق الصوتى والوزنى فى كل أجزاء القرينتين، منتقدًا ما ذهب إليه بعض العلماء الذين خالفوا حقيقة الترصيع -كما تمثلها هو- حين أجازوا اتفاق القرينتين فى الجُلّ لا الكل. ويبدو أن تشديد ابن الأثير على هذا الشرط جاء بدافع إبعاد بعض النماذج القرآنية عن أن تكون ترصيعاً، على اعتبار أن الترصيع -كما يتصوّره- فيه زيادة تكلّف، ومن هذا المنطق كان يلزم أن يجد سببا لنفى الترصيع وما يستتبعه عن قداسة النص القرآنى، سببًا يرد به أدلة من ذهب من البلاغيين إلى أن فى كتاب الله تعالى شيئاً من الترصيع، فقد جعل الشرط السابق تُكأة اعتمد عليها فى دحض حجج المؤيدين لحضور الترصيع فى النص القرآنى، إذ يقول: "فأما قول من ذهب إلى أن فى كتاب الله منه شيئًا ومثّله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَ إِنَّ الفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ فليس الأمر كما وقع له؛ فإن لفظة (لفى) قد وردت فى الفقرتين معًا، وهذا يخالف شرط الترصيع الذى شرطناه [وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأوّل مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثانى فى الوزن والقافية] -لكنه قريب منه".[2] ولا يميل البحث إلى الاتفاق مع رؤية ابن الأثير فى أمر هذا الشرط الذى وضعه لتحقيق الترصيع، فإن علماء البلاغة حينما ترخصوا فى ضرورة حدوث التوازى الصوتى والوزنى بين كل أجزاء القرينتين، واكتفوا بحضوره فى بعضها إن لم يكن حاضراً فى الكل فهم إنما كانوا ينطقون بما أملته النصوص الأدبيّة التى تَجسّد فيها الوجهان معاً بما لهما من أساسٍ واحدٍ لا يصح معه إدراجُ أحد الوجهين تحت بنية بلاغية جديدة، أو ضرب الصفح عن أحدهما.

هناك -إذن- عملية تتبع لحيّز اشتغال السجع تدريجيًا من الأقل فالأكثر، من حيز ضيّق التوافق فيه لا يتجاوز الحرف الأخير من الفقرات، إلى نطاق أوسع يركز فيه البلاغيون على دوال الفواصل، ويتابعون ما قد ينضاف إلى التواطؤ الحرفى المذكور من تواطؤ وزنى من شأنه أن يُسهم فى تكثيف الإيقاع، لا على مستوى الحرف الأخير، ولكن على مستوى اللفظة الأخيرة بكاملها.

---

(١) انظر: الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكرى، ص ٢٨٨.

(٢) المثل السائر، ابن الأثير، جـ١، ص ٢٥٨.